دارفـــور الـــذي لا يـعـرفـه الـغـرب

اسم الكتاب: منقـذون وناجون
تأليف: محمود مامداني

ترجمة: هاجر العاني

بالنسبة للكثيرين ممن يتفحصون منظراً طبيعياً إفريقياً مغطى بحطام سياسي في الوقت الحاضر لمجرد إثارة موضوع الاستعمارية الأوروبية التي انتهت رسمياً في اغلب أرجاء القارة قبل خمسة عقود (بالنسبة لهم) يمثل الامر دق ناقوس خطر اختلاق الأعذار.

ومن الواضح ان الكارثة الإفريقية التي تشد اليها أكثر الأنظار اليوم هي السودان او أكثر تحديداً الحرب القذرة التي اشتدت منذ عام ٢٠٠٣ في الإقليم الغربي من ذلك البلد – دارفور.

واذ انه أمر نادر بين الصراعات الإفريقية فإن هذه الحرب تمارس تأثيراً قوياً على ضميرنا ، وبالمقارنة التثقيفية لقي أكثر من خمسة ملايين شخص حتفهم نتيجة للحرب في الكونغو منذ عام ١٩٩٨ وهي المعادل القاسي في ذروتها لتسونامي عام ٢٠٠٤ الآسيوية وهي تضرب كل ستة أشهر، وذلك دون تحريك دبلوماسيينا استجابة للمتطلبات المُلحّة ودون إبداء استجابة مدنية كبيرة. ومحمود مامداني، وهو باحث في جامعة كولومبيا ومن مواليد اوغندا ومؤلف كتاب "حينما يصبح الضحايا قتلة": الاستعمارية والعصبية المحلية والإبادة الجماعية في رواندا" – (هو) واحد من أعمق المحللين للشؤون الإفريقية، وفي "منقذون وناجون – دارفور والسياسة والحرب على الإرهاب" ألّف كتاباً ثقافياً يعيد إدخال التاريخ في مناقشة أزمة دارفور ويشكك في المنطق وحتى في النية الحسنة للساعين الى وضعها في ذروة متاعب إفريقيا الأخيرة، وهو يكتب ليقول انه مذكرة "ضد أولئك الذين يستبدلون الحقيقة المعنوية بالمعرفة والذين يشعرون بانهم مستقيمون حتى حينما يتصرفون على أساس الجهل المطبق".

ولا يصرف المستر مامداني نظره عن سجل من الاعمال الوحشية في دارفور حيث لقي (٣٠٠) الف شخص حتفهم وشُرِّد (٥ر٢) مليون ومع ذلك فإنه يعارض عنوان الإبادة الجماعية بصفته حكماً متحيزاً تم إصداره لأسباب سياسية ضد حكومة سودانية بغيضة بسبب تاريخها في التطرف الإسلامي وتورطها المشبوه في الإرهاب.

وعند اكثر أفعاله استفزازاً يشكك المستر مامداني في التمييز بين ما يتم غالباً تصنيفه تمرداً مضاداً وإبادة جماعية قائلاً بأن الأول حتى حينما يتسبب في مقتل عدد اكبر من الناس فإنه يُنظَر اليه على انه "عنف طبيعي" في حين يُعتبَر الأخير " فعلاً لا أخلاقياً بل ومؤذياً" والمنحى النموذجي هو ان الغرب هو الذي يضع التصنيف. وبرغم ان الكاتب يستخدم حرب الولايات المتحدة في العراق كمثال مع إصدار محكمة الجنايات الدولية مذكرة توقيف بحق زعيم السودان [عمر حسن البشير] الا ان مثال المستر [مامداني] الأكثر اقناعاً هو معالجة أزمة في اوغندا المجاورة.

ففي اوغندا، التي هي منذ عهد بعيد واحدة من اقرب أصدقاء واشنطن، يتعقب المستر [مامداني] تاريخ "مذابح المدنيين والاعمال الوحشية الأخرى" الموجّهة عرقياً ضد التمرد الوحشي المعروف بـ (جيش المقاومة الربانية)، وفي عام ١٩٩٦ وفي ظل حكم الرئيس [يويري موسيفيني] بدأت مرحلة ثانية من تلك الحرب "بسياسة جديدة مصممة لحصر كل السكان الريفيين في مقاطعات آتشولي الثلاثة في شمال اوغندا حصراً عملياً" كما يكتب المستر [مامداني] ويضيف" ويتطلب الامر حملة قتل ورعب وقصف وحرق قرى بأكملها (حملة) توجهها الحكومة وذلك لإكراه السكان الريفيين على التوجه الى مخيمات [م.د.] (المُرَحّلين داخلياً – المُهَجّرين).

في عام ٢٠٠٥ شجب [أولارا أوتونو]، وهو سفير سابق لاوغندا في الأمم المتحدة، خطط الحكومة قائلاً: "يتم تدمير مجتمع بأكمله بشكل منظم –بدنياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً – وعلى مرأى من المجتمع الدولي".

ويقول المستر [مامداني] بأنه لكن وكما في مكان آخر في إفريقيا فإن محكمة الجنايات الدولية خلقت قضية ضد العدو الوحيد لصديق واشنطن الا وهو (جيش المقاومة الربانية) في حين تبقى صامتة بشأن الاعمال الوحشية واسعة النطاق والتي ربما ارتكبتها حكومة اوغندا، وفي هذا النموذج يرى المؤلف ان سيطرة السياسة اكثر من أية اداة حقيقية ملحَقة بالعدالة.

ويجادل الكثيرون بأن ما يجعل من ازمة دارفور أزمة مختلفة عن الأزمات الإفريقية الأخرى هو العرق مع وجود نزاع هناك يحرض العرب ضد الأشخاص الذين تطلق عليهم غالباً تسمية "الأفارقة السود" لكن هنا يتبنى المستر [مامداني] مرة أخرى حكمة تقليدية فهو يعلن بشكل صريح قائلاً " لم تكن هذه حرباً في أية مرحلة بين 'الأفارقة' و'العرب'".

والكثير من التعليق الأجنبي عن السودان يتحدث عن عرب السودان على انهم مستوطنون مع استنتاج بأنهم بشكل ما اقل أفريقيةً من قوم يفترض بهم ان يكونوا من عرق اسود صرف، واذا حافظ البيض بشكل صاخب في كينيا وزيمبابوي فضلاً عن جنوب إفريقيا (حافظوا) على أفريقيتهم١ التي ستصنع حينها وجود العرب في السودان والذين (العرب) ، كما يكتب المستر [مامداني]، "بدأ" تغلغلهم البطيء وتزاوجهم المنتشر (بدأ) "في العقود المبكرة من الإسلام" و"وصل ذروته" من القرن الثامن الى القرن الخامس عشر "عندما اجتاحت القبائل العربية السواد الأعظم من البلاد".

وما يثير اهتماماً اكبر ان المؤلف يؤكد بان الكثير مما نراه اليوم كانقسام عرقي في السودان له جذوره في التاريخ الاستعماري حينما "جزّأت بريطانيا المجتمع المحلي الى انتماءات عرقية مختلفة و'قَبلَنَت'٢ كل انتماء عرقي عن طريق إخضاعه الى السلطة المطلقة لواحدة او اكثر من 'السلطات الأهلية' التي أقرتها بريطانيا" مما يوازن" الكل عن طريق تحريض طرف ضد أطراف أخرى". ويعتبر المستر [مامداني] هذه الخطة البريطانية لتعزيز الاختلافات بين رعايا المستعمرات انها " تعيد تحديد الهوية تفرض حكمها " ويقول بأن القوى الأوروبية قد نسخت الخطة في أرجاء القارة مع عواقب مدمِّرة – كما في رواندا حيث عمَّق التدخل البلجيكي من الاختلافات بين (الهوتو) و(التوتسي).

وفي السودان كانت النتيجة خلق أحساس متين بالحق في الأرض والمتجذر في الهوية القبلية التي فضلت المقيمين على حساب الرحّالة او بالمختصر الصريح للوقت الحاضر هم: الأفارقة والعرب. والجذور الأخرى لازمة دارفور تكمن في التصحّر الكارثي في إقليم الساحل حيث خلّفت الحرب الباردة المنطقة وهي مغمورة بالأسلحة الرخيصة في ذات الوقت الذي لم يعد أهل الريف يستطيعون فيه ان يبقوا على قيد الحياة في أوطانهم التقليدية ما أجبر الكثيرين على الاندفاع جنوباً الى بقاع يسيطر عليها مزارعون مقيمون. كذلك فإن المؤلف يلقي باللائمة على النزاع الإقليمي والإرث العاصف للحرب التوكيلية من قبل فرنسا ، وليبيا والولايات المتحدة ومؤخَراً التوسع العالمي للحرب على الإرهاب.

ويكشف هذا الكتاب المهم الكثير عن كل هذه المواضيع ومع ذلك ربما يبقى البعض يحكم عليه بأنه لا يقول ما يكفي عن العنف الأخير في دارفور. ولازمة المستر [مامداني] المتواصلة هي أن السخط الفعال الذي يظن انه يكتشفه في أولئك الذين ينبغي ان يصرخوا بأعلى أصواتهم بخصوص دارفور ليس سخطاً بديلاً عن فهم اكبر والذي من دونه (الفهم) يتبقى للغرباء امل ضئيل في تحقيق خير حقيقي في أراضي إفريقيا المبعثرة الى أشلاء.

عن التايمز

حيـــاة ثـــوريـــة

الكتاب: الحياة الثورية لفردريك إنغلز
تأليف: تريستان هنت

ترجمة: ابتسام عبد الله

وحده في خضم ازمة القطن في مانجستر أبان القرن العشرين.. كان فريدريك إنغلز يأمل بانهيار الاقتصاد البريطاني من دون اهتمام بخسارة ثروته والى الأبد، وذلك الأمر وحده يجعله الرأسمالي غير الاعتيادي ولكن هناك بالتأكيد أسباب أخرى تجعلنا نتذكره. كان إنغلز وصديقه كارل ماركس شيوعيين ساهم الاثنان معاً في صياغة نظرية تقول بحتمية انهيار النظام الرأسمالي.

وكما يؤكد تريستان هنت في كتابه الممتاز: ان إنغلز كان في حدود الخمسين عندما ترك مكتب إيرمن وإنغلز في شمال إنكلترا مكرساً نفسه تماماً للقضية الثورية.

ولد إنغلز في أسرة صناعية عام ١٨٢٠ وقد بث الخوف في عائلته بمعتقداته الراديكالية، وقد تخلى عن مهمته الرأسمالية في أواسط ١٨٤٠ وكتب البيان الشيوعي مع ماركس عائداً الى ألمانيا في ١٩٤٨ عندما شبت الثورة في أوروبا وشهد الحركة المسلحة قبل إخمادها.

كان على الدوام مالك مصنع كرهاً ومن دون الموافقة على تسيير أعمال والده الألماني في مانجستر، لم يكن باستطاعته الحصول على دخل يوفر له وماركس حياة مريحة ويكون من حقهما، وقد عانى ماركس من فقر مدقع، اما إنغلز فكان يحصي قروشه (او بالأحرى عشرات الألوف من الباونات) باهتمام أكبر ولكنه لم يقيد أبداً مسراته، كان يتنزه باستمرار في الضواحي مع كلاب الصيد الثمينة والمكلفة، احتسى أفضل أنواع الشراب والبيرة بكميات كبيرة، واستضاف أسراباً من النساء ومن بينهن الساقطات، وارتدى أحدث الملابس.

حافظ إنغلز على مظهره البرجوازي فاصلاً ذلك عن مبادئه الشيوعية، وقد اشترى الألماني الصناعي ذو السترة السوداء الطويلة منزلاً ثانياً في مانجستر، حيث أسكن صديقته الأيرلندية ميري بيرنز ورحب برفاقه الاشتراكيين.

وبعد وفاة ميري احتلت مكانها شقيقتها ليزي، كان الصناعيون الشماليون يعرفون انه "أحمر" ولكن إنغلز كان متحفظاً تجاه نشاطه السياسي وعلاقاته النسائية وتجنب رفض المجتمع له.

وبعد عام ١٨٦٩ عندما اشترى الأخوة إيرمن حصته من الشركة انتقل الى لندن وواصل العمل وبشكل ممتاز في الاستثمارات، كان إنغلز نسخة من أصحاب الدخل التافهين من أولئك الذين يتحدث هو وماركس عنهم باحتقار في كراريسهم.

ان وجهة نظرهما المتجذرة في الحتمية الاجتماعية الاقتصادية والفلسفة اللاأخلاقية مرسهما على وخزات الضمير تجاه صناع رفاهيتهما مئات من العمال الذين يبذلون الجهد بأجور بائسة في معمل إنغلز، وقد آمن مؤسسو الماركسية ان الفائدة الأفضل تتحقق للإنسانية في حال حصولهم على أحسن الفرص للراحة يتيح لهم بذل غاية الجهد في سبيل تصحيح النظرية الشيوعية، لم يكن إنغلز يمثل المصدر المالي فقط للقضية الماركسية، فهناك رسائل تبودلت بينه وماركس تشير الى المشاركة الفعالة، ويدافع المؤلف عن إنغلز ضد الاتهامات الحديثة التي تتهمه بتشويه جوهر المبادئ الماركسية، وكان ماركس يخضع مسودات كتبه على الدوام لإعادة النظر فيها، ومنها على سبيل المثال، رأس المال الذي طبع باسمه فقط، وعندما حاول إنغلز تنسيق وتصنيف الماركسية بعد وفاة ماركس عام ١٨٨٣ كان عمله قد اقتصر على ترتيب الكتاب حسب التسلسل الزمني والذي كان سيقوم به شريكه غير الحاسم بنفسه.

وكان الاثنان راغبين لتشجيع اندلاع حركة ثورية واسعة ضد الرأسمالية عبر أوروبا، ولكن الاثنين عرفا بالتعصب الشديد وكانا الأفضل في أسر اهتمام الناس او في النزاعات صالصغيرة عن بناء منظمات وسرية اتحاد العمال العالمي (الصغير) خدع المسؤولين في الشرطة الأوروبية الذين بالغوا في تقدير نفوذه عملياً، لقد كانت الماركسية قوة ضعيفة حتى عام ١٨٩٠ عندما جمعت الاشتراكية الألمانية دعماً جماهيرياً لتأييد وتبني الماركسية نظرية للعمل ما أشاع الفرح في نفس إنغلز الذي كان قد تقدم في السن آنذاك.

ويؤكد المؤلف في كتابه ان لا يحكم على أفكار إنغلز حسب المقاييس الحالية، لقد كان رجل عصره والكثير مما كتب عن المرأة، الشذوذ، العبيد والأجناس غير الأوروبية، تبدو غير مرغوبة فيها حالياً ولم يوضح الكاتب بالمقابل او يفسر سياسة الاضطهاد التي اتبعت في الاتحاد السوفيتي السابق ومدى مسؤولية انغلز فيما جرى هناك، في حين ان انغلز لم يناصر تأسيس النخبة الديكتاتورية من اجل تاسيس المجتمع الجديد. ولكن بعض الملامح الاساسية لافكاره كانت اللبنات الاولى لتشييد هرم النظام السوفيتي، وهذا الأمر لا يدعو الى إنكار ان انعلز، المتوفى علم ١٨٩٥، لو عاش في روسيا بعد ١٩١٧، لكان من الصعب بالنسبة له الافلات من الاعتقال بتهمة كونه مفكرا حرا منشقا عن الشيوعية.

عن الصنداي تايمز

الـذوبـان.. رأيٌ آخـر!

الكتاب: الطاقة و التغير المناخي
تأليف: أنتوني جيدينز

ترجمة: عادل العامل

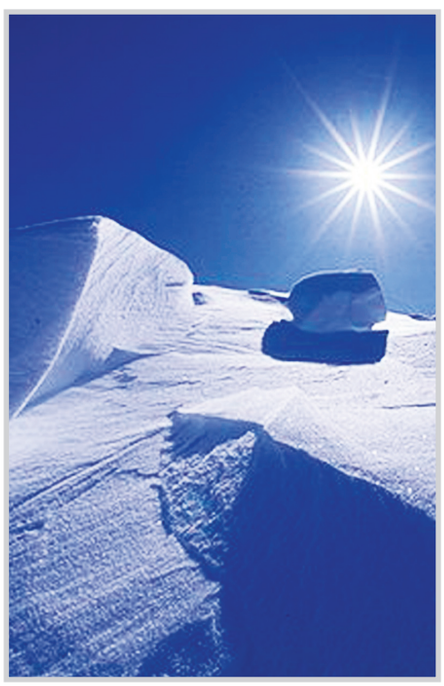

كل واحد أخضر الآن (أي مناصر للبيئة)، في الأقل نظرياً. فقد أفزع الكوكب المتزايد الحرارة سكان العالم و دفعهم إلى البحث عن بدائل لمواد الوقود التي مصدرها متحجرات حيوانية حتى و مليارات البشر يبدأون في تحقيق نوع من أسلوب الحياة الغربية المترفة الذي سيؤدي، من دون إصلاح الحال، إلى طبخ كوكب الأرض. وإذا ما كان تغيُر علم المناخ سريع الوتيرة، فإن السياسة تكون أسرع حتى، مع مجموعة ضخمة من المعاهدات، والوعود، والتعهدات والأهداف التي تعد بالكثير من الأفعال ـ لكن مع القليل الذي يتم إنجازه فعلاً، و هناك في هذا الإطار عدة كتب تنطوي على مقاربات مختلفة لتقدير حجم المشكلة.

وأحد المؤلفين هو أنتوني جيدينز، بروفيسور بمدرسة لندن للاقتصاد، وهو عالم اجتماع مشهور جداً بتطوير "الطريق الثالث"، فلسفة اليسار الوسط التي اعتنقها توني بلير وبيل كلنتون، ويحاجج كتابه بأن ميزان مشكلة التغير المناخي وصعوبة مجانسة الحفاظ على البيئة مع التطور يتطلب مقاربة سياسية جديدة.

والنتيجة كتاب واسع النطاق يغطي كل شيء من الطاقة المتجددة إلى التجارة بالكاربون وتطبيقات التكييف إلى عالم ذي بحار أعمق وطقس أشد وطأةً.

ويقدم هنا لورد جيدينز مشورةً بالغة النفع، وهو يوبخ المحاربين البيئويين على رسالتهم المتجهمة جداً، مؤكداً أن الناس سيغيّرون على الأرجح عاداتهم إذا ماعُرض عليهم مستقبل أكثر سعادة يتطلعون إليه وليس مستقبَلاً موحشاً يتفادونه، وهو يجادل ضد فكرة أن التغيّر المناخي يشكل شيئاً كبيراً جداً كمشكلة بالنسبة لقدرة نظام ديموقراطي على معالجتها.

غير إن ثمن الاتساع هو الافتقار إلى العمق الذي يمكن أن يترك القرّاء الفضوليين يشعرون بالإحباط. فجزء من المشكلة هو الميل إلى التكلف والملاحظة المبتذلة بالأحرى، التي مفادها أن الأزمات المجردة البعيدة تميل لأن لا تغيّر سلوك الناس حتى لو كانت العواقب مكدّرة للغاية، يمكن تسميتها بـ "تناقض جيدينز"، والفصل الافتتاحي يذكر كل ما هو حديث هنا من الانترنيت والشبكات الاجتماعية إلى شعار حملة باراك أوباما" أجل نستطيع"، وإجمالاً، هناك في الكتاب القليل الذي هو أصيل حقاً. لكنه محزوم بشكل مناسب وسمعة لورد جيدينز ستدفع به إلى أماكن عالية من الرفوف.

وأولئك الذين يشتهون شيئاً ما أقل تشوّشاً سيفضلون كتاب سير نيكولاس ستيرن. والسير نيكولاس اقتصادي بارز سابق في المصرف العالمي ومؤلف دراسة مؤثرة عن اقتصاديات التغير المناخي أنجزها للحكومة البريطانية.

وينصب كتابه على المناظرة بلغة الكلفة ـ الفائدة، ويخلص إلى أن إنفاق ١ ـ ٢٪ من الناتج العالمي لتجنب ارتفاع كبير في درجة الحرارة هو صفقة جديرة بالانجاز ـ وهو استنتاج مماثل لذاك الذي في دراسته الأصلية لعام ٢٠٠٦، لكن الكتاب مكتوب لجمهور أوسعٍ من التقرير الرسمي، ويدمج بعض النتائج الأكثر حداثة (وإقلاقاً) الواردة في علم المناخ.

عن The Economist

أكبـــر ســـرقـــة فنيـــة في التـــاريـــخ

الكتاب(١): الموناليزا المفقودة
تأليف: راسكوثي
الكتاب (٢): ليوناردو الامريكي
تأليف: جوب بريوير

ترجمة: المدى

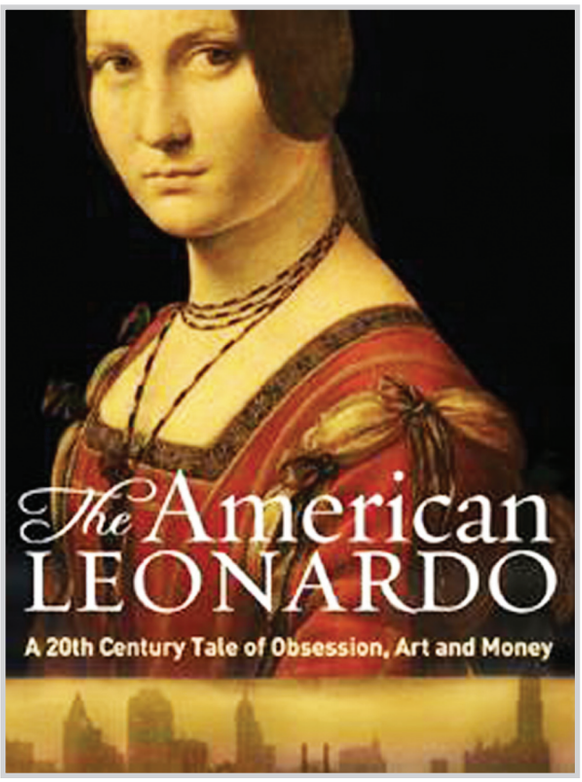

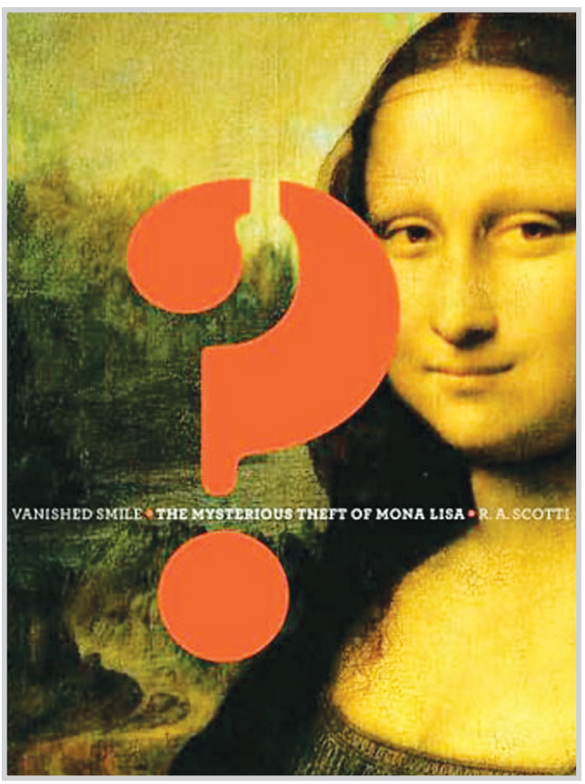

لو وضعنا جانبا استثنائية لوحات ليوناردو دافنشي، فان قيمتها الفنية العالية تعود لاسباب عدة منها ندرتها ومقاومتها للزمن وعدم تعرضها للضرر الا نادرا، ومن تلك الحالات وكما تذكر سكوثي في كتابها ان احد اللصوص رفع الموناليزا من مكانها وسار بها مجتازا قاعات اللوفر واللوحة مخفية تحت معطفه، وكان ذلك في عام ١٩١١. وحدث ايضا في عام ١٩١٩، كما يصف جون بريوير في دراسته القيمة، ان اعلن تاجر سيارات عن بيع لوحة غير معروفة لدافنشي وانه سوف يقاضي كل من ينكر اصالتها.وقصة سكوثي اكثر اثارة. اذ اثارت سرقة الموناليزا او حسب قول المؤلفة خطفها، فضيحة عالمية هزت اركان متحف اللوفر وحولت اللوحة الى رمز فني عالمي . وتنطلق سكوثي في قصتها عن موناليزا عبر ثلاث حكايات تحيط بتلك السرقة: الارتباط الغريب لغويلوم ابو لينير وبابلوبيكاسو في الفضيحة، او ان العملية دبرت من قبل فنان يفتقد الاخلاق، واخيرا ظهور الموناليزا ثانية في فندق سيئ السمعة. وقد تحدثت الاقاويل عن ارتباط اسمي بيكاسو وابولينير، اللذين كانت انوار باريس مسلطة عليهما في المجال الفني ويعود السبب الى ان الاثنين احتقرا المتاحف كونها (مقبرة التاريخ) ومع ذلك فان قلة من الناس تخيلوا حقا انهما قاما بالسرقة او كانا وراءها. وعندما اعتقل ابولينير بتهمة استئجار لص يعرفه كان قد سرق قطعتين فنيتين من اللوفر وجيء ببيكاسو للاتفاق معه على شرائها. هذا ماكان مثار شك الشرطة الفرنسية وبعد مرحلة من الانكار والنفي، بكى الاثنان وتوسلا السماح والغفران واطلق سراح الرجلان. ومع ذلك فأن تهمتهما كانت واضحة. اما بيكاسو فبقي بعيدا عن الموضوع. وقد تم كشف الامر كله من قبل الماركيز دي فالفيرنو للصحفي كارل ديكر، في مقهى بكازابلانكا وادعى الماركيز في حديثه كونه العقل المدبر لسرقة الموناليزا. وفي خلال غياب الموناليزا عن اللوفر، قام خبير بالتزييف بنسخ ست نسخ، باعها فيما بعد الماركيز لعدد من جامعي اللوحات ومع ظهور الموناليزا، انكشف زيف تلك النسخ، واعتبرت لجنة سرية فرنسية الامر جريمة مدبرة.

وفي عام ١٩١٣ان قدم احد المحتالين الايطاليين الموناليزا المفقودة لتاجر لوحات، كان الحلم هو اعادتها الى ايطاليا كعمل انتقامي لسرقات نابليون. اللص (بطل وطني) قاد التاجر المندهش وبرفقة المخرج البرتو تريبوليتاليا الى فندق بالقرب من سكة حديد فلورنسا حيث منزل ربما ان ليوناردو رسم فيها لوحته قبل عدة قرون وهناك وتحت سرير قديم، كانت الموناليزا، ملفوفة بقطعة من حرير احمر بالملابس الداخلية للص.

اما الحكاية او الحادثة الثانية لسرقة الموناليزا التي سردها جون بريوير، عن ليوناردو الامريكي، فهي تتناول احدى نساء ليوناردو وبطل تلك الحادثة هو، هاري هان الذي عاد الى كانساس بعد الحرب العالمية الثانية مع زوجة فرنسية جميلة ولوحة يقول انها لدافنشي، وانها وصلت الى زوجته عن طريق قريبة لها ذي اصول ارستقراطية. وادعى هان انه يمتلك الوثائق والادلة العلمية التي تثبت اصالة اللوحة وزيف تلك الشبيهة بها والموضوعة في متحف اللوفر بعنوان"لابيلا فيرونيير". وعندما اعلن احد الخبراء زيف ادعاء الامريكي، قام الاخير برفع دعوى ضده بتهمة الاساءة الى لوحة تاريخية. وقد سافر بعدئذ الى اوماها لعرض اللوحة وحصل اخيرا على حكم نهائي بأصالتها.

عن الصنداي تايمز